قراءة في شعر الشيخ جعفر الهلالي

الأستاذ الدكتور
خليل عبد السادة إبراهيم الهلال
الجامعة الإسلامية ـ النجف الأشرف
Khaleel.alhelali@iunajaf.edu.iq

The reading of poetry of Al-sheikh Jaafar Al - Helali

Prof. Dr.
Khaleel Abdul Sada Ibraheem AL.helal
The Islamic University - Al Najaf Al Ashraf

الملخص:

قارئ شعر أيّ شاعر يلمس، في فنّه، آثارا تركتها بيئته: الخاصة والعامة، وهذه الآثار تتفاوت بتفاوت درجة تأثير البيئة فيه، وأثره فيها، ولم يكن شاعرنا الشيخ جعفر الهلالي بعيدا عن بيئته هذه (البيئة الخاصة/ أسرته)، وتلك (بيئته العامة/ النجف الأشرف)، بل اغترف منهما معا ليشكّل ما اغترفه منهما ملامح شخصيته الرسالية والأدبية، فتردّد صدى ذلك في أجواء خطابته المنبرية، وأجواء فنّه الشعري، اذ وظّف قدرته الشعرية في خدمة رسالته المتمثلة في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام والدفاع عنه مستثمراً مناسباتهم المختلفة لذلك الهدف، مُتّخذاً من تلك المناسبات اساسا للانطلاق إلى الحديث على القضايا الإسلامية والقومية والانسانية.

الكلمات المفتاحية: الشيخ جعفر الهلالي، بيئة، الميزات، المنبر، الخطباء، المهرجان، معاناة، قصيدة، مقاربة.

Abstract:-

The poet's environment: private and public leaves traces in his poetic art, and these effects vary with the variation of their influence on him and his impact on him, so the authentic writer does not leave the field except and leaves a trace of his traces, or a touch of his artistic touches.

Our poet, Sheikh Jafar Al-Hilali, was not far from his private and public environment. Rather, he honored both of them together, so that his abstraction constituted the characteristics of his missionary and literary personality.

Al-Hilali described the poet as a writer, follower writer, and a virtuous and prolific poet who, through his affiliation to the faculty of jurisprudence in which he graduated, acquired a good modern culture, which made his activity extend beyond the activities of the platform to other areas of activity, as he filled a large part of literary life in Najaf, as well as His participation in the celebrations and seminars that were held in the cities of Iraq and abroad. He won over his poetry the praise of the Ahlulbayt (AS), the feasts of their newborns and the lament of their dead, and this can explain the message he carries, and works hard to deliver it to the Islamic community, and he invests these occasions to talk about national, Islamic and humanitarian issues.

Keywords: Al - sheikh Jaafar Al - helali, Environment, features, the pulpit, orators, the festival, suffering, Poem, approach.

المقدمة:

قارئ شعر أيّ شاعر يلمس، في فنّه، آثارا تركتها بيئته: الخاصة والعامة، وهذه الآثار تتفاوت بتفاوت درجة تأثير البيئة فيه، وأثره فيها، إذ إنّ الأديب الأصيل لا يغادر ميدانا إلّا ويترك فيه أثرا من آثاره، ولمسة من لمساته الفنية، تشكّل، بمرور الزمن، اتجاها فنيا تبدو ملامحه في معاصريه والأجيال القادمة بعده.

ولم يكن شاعرنا الشيخ جعفر الهلالي بعيدا عن بيئته هذه (البيئة الخاصة/ أسرته)، وتلك (بيئته العامة/ النجف الأشرف)، بل اغترف منهما معا، ليشكّل ما اغترفه منهما ملامح شخصيته الرسالية والأدبية، فتردّد صدى ذلك في أجواء خطابته المنبرية، وأجواء فنّه الشعري.

أمّا بيئته الخاصة، وأعني بها أسرته التي نشأ تحت رعايتها وتوجيهاتها، فقد أسهمت، منذ أن هاجر معها من البصرة الى العاصمة الدينية (النجف الأشرف)، في رسم ملامح شخصيته الخطابية والأدبية، إذ نشأ، في مراحل حياته الأولى، في ظلّ والده الشيخ عبدالحميد الهلالي، الذي كان يصحبه معه في مجالسه بوصفه (قارئ مقدمة)، فضلا عن توجيهاته له في الإستفادة من تجارب خطباء المنبر الحسيني، مما مكّنه، بمرور الزمن، من أن ينفرد، ليقرأ مجالس خاصّة به.

أمّا بيئته العامة، وأعني بها (النجف الأشرف) مدينة العلم والعلماء، فقد واصل، فيها، دراسته العلمية على يد أفاضل الحوزة العلمية، واتصل بعلمائها وخطبائها وأدبائها، وتلقى تحصيله العلمي، في الفقه والأصول والمنطق والعلوم الدينية، على يد مجموعة من الأساتذة منهم: السيد حسين بحر العلوم والسيد محمد تقي الحكيم والسيد أحمد النحوي والسيد جواد العاملي والشيخ علي البصري والشيخ علي بن يحيى القطيفي والشيخ حسين الفرطوسي[١]، وكان يحضر، مع زميله الشيخ عبدالهادي الفضلي ﵀، الدرس في حوزة السيد أبي القاسم الخوئي ﵁[٢].

وكانت له علاقات قوية مع علماء الدين، اذ كانت له علاقة قوية مع المرجع الشهيد الأول سماحة السيد محمد باقر الصدر ﵁، ومع سماحة المرجع الديني الكبير السيد محسن

الحكيم قدس سره، وولده سماحة السيد محمد باقر الحكيم قدس سره، اذ كان الشيخ جعفر يصاحبه في كثير من سفراته، مضافا الى علاقاته المتينة بخطباء المنبر الحسيني من أمثال عبد الهادي الفضلي، والشيخ محمد علي اليعقوبي والشيخ محمد علي قسّام والسيد طاهر ملحم والشيخ مجيد الصيمري والسيد عدنان الحلو وغيرهم ممن عرفوا بسعة الباع في ميدان الخطابة الحسينية(٣).

وقد أسهم انتسابه الى كلية الفقه في أوائل تأسيسها، والتي تخرج فيها عام (١٩٦٣-١٩٦٤)، ومواضبته على الدرس والتحصيل في أن يصبح ذا ثقافة حديثة جيدة(٤)، ما جعل نشاطه يتعدّى حدود أنشطة المنبر الحسيني الى مجال النشاطات الأخرى، إذ أصبح، لكفاءته ودوره البارز في الحياة الأدبية ومكانته العلمية بين زملائه، عضوا في (جمعية الرابطة الأدبية)، وعضوا في (جمعية منتدى النشر)، فضلا عن حضوره الإحتفالات الدينية، التي كانت تقام في مدن العراق.

فقد اشترك في الاحتفال الديني الذي أقيم في (خانقين)، بوصفه عضوا في جمعية منتدى النشر التي دعيت الى الاحتفال، وكان، فيه، عريفاً للاحتفال(٥)، يضاف الى ذلك أنه كان دائم الحضور الى الاحتفال الذي كان يقام بمناسبة ذكرى ولادة الإمام علي بن أبي طاب عليه السلام في محلة (الجمهورية) في محافظة البصرة في دار الشيخ محمد جواد السهلاني بحضور جمع من شخصيات البلد، آنذاك، من عسكريين وإداريين ومدنيين وجموع من الناس على اختلاف طبقاتهم، وقد ألقى الشيخ، في الاحتفال، قصيدته الميمية (من وحي الذكرى)، ومطلعها:

بطل الخلود تحية وسلام ... أنى وهل يسمو إليك نظام

يا أيها العملاق إنك لم تزل ... لغزا تحار بحلّها الأفهام(٦)

وقد حازت هذه القصيدة إعجاب الجميع، واستعيدت أبياتها(٧)، ونشر شعره الجيد في الصحف العراقية والعربية، وله مشاركات طيبة في المهرجانات الشعرية المختلفة(٨).

ولم يقتصر نشاط الشيخ على الأنشطة الثقافية بل تعداها الى النشاط الوطني، إذ حظي بثقة رجال الدين في النجف الأشرف، فقد رافق زميله الشيخ عبدالهادي الفضلي رحمه الله الى

منطقة الفرات الأوسط، ليحملا بيان جماعة العلماء بعد أن أصدر عبدالكريم قاسم قانون الأحوال الشخصية، الذي ساوى، في الميراث، بين المرأة والرجل، وقد سلما البيان الى وكيل المراجع، آنذاك، عبدالرزاق السماوي، الذي أخذ البيان ووزعه على الأهالي، ليعودا، بعد ذلك، الى النجف الأشرف متخطين الأخطار التي أحدقت بهما خلال إنجاز هذه المهمة.

وقد كلّف بالذهاب الى البصرة بمهمة مشابهة، إذ كان العلماء، فيها، مجتمعين للنظر في قانون الأحوال الشخصية، وكان مع زميله الشيخ عبدالهادي الفضلي يحملان كتابا من الحوزة العلمية تأييدا لموقف علماء البصرة[٩].

وقد أشار الشيخ جعفر الى هذه القضية في قصيدته التي رثا بها صديقه وزميله الشيخ عبدالهادي الفضلي ﵀ قائلا:

(أبا عماد) لقد ذكّرتني عملا ... كنا نقوم به لله نعتقد
فيه جهادك للاسلام مأثرة ... سجّلتها حيث لا خوف ولا صدد
غداة يعلنها (عبدالكريم) كما ... يشاء تسوية في الارث ينفرد
فللنساء نصيب كالرجال به ... من دون فقه له يروى ويستند
وذا خلاف الذي قد قال بارؤنا ... وما أفاد به القرآن يعتمد
فردّ عليه رجال العلم قولته ... هذي بتحرير ردّ منهم يرد
وحاولوا من لأهل الريف يحملها ... بقوة وأمان وهو يعتقد
فعيّنوا الرجل الفضلي فكان لها ... كفئا وإنّي ذاك الساعد العضد
سرنا الى أن وصلنا في أمانتنا ... لأهلها ورجعنا حيث لا أحد[١٠]

وقد صوّر الشيخ جعفر، بشعره، الوضع المتخلّف للعراق على يد الحكّام، وبخاصة حكم حزب البعث في مجيئه الأول، حيث يقول:

قالوا: اشتراكية والدين منبعها ... وما وجدنا لها في ديننا نسبا
قالوا: وحرية جئنا نحققها ... للشعب لكنّهم قد أكثروا الرقبا
قالوا: الزراعة جئناها لننعشها ... والحقل في عهدهم من زرعه جدبا

قد قيل: يا شعب قبل اليوم في مثل تعزّ في سلّة إن لم تجد عنبا[١١]

وقد تركت هذه القصيدة أثرا وصدى كبيرين في أوساط الذين سمعوها، وأصبح الشيخ، بفعل هذه القصيدة وأمثالها ممن طاردهم النظام البعثي الذي كان يستهدف خطباء المنبر الحسيني مما اضطرّ كثير منهم الى أن يغادر العراق بطرق مختلفة بعيدة عن أعين الرقباء.

وكان الشيخ واحدا من هؤلاء المغادرين اضطرارا، إذ غادر العراق عام (١٩٧٩م) الى دولة الكويت عن طريق (الزبير)، حيث بقي فيها يمارس الخطابة الحسينية في حسينية (آل ياسين) و(الجعفرية) وغيرها، إلا أنّه اضطر، بعد استمرار ملاحقة النظام ومطاردته الخطباء والعلماء واعتقالهم، في الكويت، وبخاصة بعد أن أعتقل أخواه: الشيخ باقر والشيخ محمد وزوج ابنته، اضطر، تحت تأثير هذه الظروف الى مغادرة دولة الكويت مصطحبا عائلته الى سورية، ليصلها بعد معاناة طويلة ن وبعد مدّة غادرها الى ايران، ليقيم في مدينة (قم المقدّسة) مواصلا نشاطه في التبليغ والخطابة.

سافر منها الى (دبي)، ليقرأ في (الأوقاف الجعفرية)، وهناك وصله خبر إعدام أخيه الشيخ جواد عبدالحميد مع مجموعة من الخطباء من قبل النظام البعثي.

عاد الى دولة الكويت بعد هدوء الأوضاع فيها، ليقيم فيها ممارسا مهنة الخطابة الحسينية، وبعد سقوط نظام البعث قرر العودة الوطن (العراق)، بعد غياب طويل ومعاناة شديدة، ولكنّه كان يتردّد على دولة الكويت، ليقرأ مجالسه الحسينية، الى أن أقعده المرض في داره الواقعة قرب مرقد الصحابي الجليل كميل بن زياد النخعي (رضي الله تعالى عنه).

وقد اتسعت دائرة اهتمام الشيخ الهلالي فلم تقتصر على قضايا العراق، إذ شغلت القضية الفلسطينية حيزا كبيرا من اهتماماته، فقد ترددت أصداء هذه القضية في شعره، فلم يترك مناسبة يقف فيها منشدا شعره إلا كانت له وقفة عند هذه القضية مبينا فداحة الخسارة التي نزلت بالشعب العربي عامة والفلسطيني بخاصة حاثا المسلمين على العمل الجاد للتعامل مع هذه القضية، وقد اختط، في ذلك، لنفسه، منهجا وسبيلا، لتشخيص الأدواء التي حلت بالأمة الاسلامية، ووصف الدواء لبرء جسد هذه الأمة منها.

فهو يذكّر بماضي هذه الأمة المجيدة يوم كان المسلمون متمسكين بدينهم، ملتفين حول

قيادتهم قيادة الرسول الأعظم ﷺ، الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وهذا ما نلحظه في قصيدته الرائية، التي نظمها بعد نكسة حزيران، وألقاها في الاحتفال الذي أقيم في مسجد (براثا) لعلماء بغداد والكاظمية المقدسة، الذي نقل من دار الاذاعة للجمهورية العراقية، وفيها يقول:

يا رسولا الى الحياة أعدته بلطف يد الاله القدير
وعظيما عنت له عظماء الأرض من سالفات العصور
لايزال التاريخ يكبر ما حققته في مدى الزمان القصير

حيث أسست أمة وكيانا طاولت فيه كلّ مجد خطير
ذلّ كسرى وقيصر لعلاه وتهاوى عرش الضلال الغرور

وسرى في ربوعنا العدل جذلان بمسراه في ثبات فخور[١٢]

وما كان لهذا الكيان أن يقوم إلّا بالتضحية والتحدي والاصرار والتسلح بسلاح الايمان والثقة العالية بالله تعالى.

وقد شخّص الشيخ سبب ما آلت إليه حال الأمة الاسلامية، والسبب، كما يقول الشيخ، هو ترك نهج الكتاب واتباع أفكار الغرب وفلسفتهم:

لكنهم ضيّعوا نهج الهدى وعدوا خلف السراب فذاقوا الويل والحربا[١٣]

وقد اتخذ الشيخ من الحديث على ماضي الاسلام منطلقا للحديث على القضية الفلسطينية، إذ إنّه أراد من هذا الحديث بثّ الحماس في نفوس المسلمين دفعا لهم للنهوض وإعادة الحقّ المغتصب الى أهله، وإعادة مجد الأمة الاسلامية:

أمتي وحدي الصفوف وسيري واثأري اليوم للدم المهدور
واثأري واثأري لحقّ مضاع بين مستعمر وبين أجير
لفلسطين وهي تستصرخ الأحرار في صوتها الحزين الكسير
لبلاد الاسلام دنّسها الشرك برجس من حقده المسعور

....

فارخصي النفس أمتي فحياة الذلّ عار على الأبيّ الغيور[١٤]

ولم تغب القضية الجزائرية من شعر الشيخ الهلالي، بل كان لها وثورة أهلها ضد الاستعمار الفرنسي نصيب منه، وليس هذا بالأمر الغريب على الشيخ، ذلك أنه من الأدباء الذين شغلتهم قضايا الأمة العربية والاسلامية، فسجّل، في، شعره، مواقف منها، واسهامات في بثّ روح الحماس في نفوس أبنائها، ورفع معنوياتها وهم يزيحون ظلام المستعمر عن تراب بلادهم.

من ذلك قوله إبان حرب التحرير الجزائرية كاشفا إعجابه بما قدّمه الشعب الجزائري من بطولات وفداء من أجل التحرير والاستقلال:

(جزائر) يا قدوة الثائر ويا طعنة الحق للفاجر

ويا شعلة في دروب الكفاح تفتق النور للسائر

ويا وثبة الشعب ضدّ الغزاة لتحرير موطنه الطاهر

ويا فخر يعرب في مجدها تمثّل في زحفك الهادر[١٥]

والشيخ، وهو يعبر عن قضايا الأمة، يكشف عن ثقته بالنصر وانكشاف حقائق أهل الضلال، قائلا:

سينتصر الحق المبين وتنجلي حقائق من ضلّوا الصراط المهّدا

ويصبح دين الله في الأرض حاكما وينهدّ من جور الشقا ما تشيّدا[١٦]

والإبداع، الذي لمسه دارسو الشعر في بيئة النجف الأشرف في شعر الشيخ جعفر الهلالي، دعاهم الى الوقوف عليه طويلا، يتأمّلونه محاولين تشخيص عناصر الإبداع فيه، إذ إنّ الأديب الناجح والشاعر المبدع يلفت إنتباه الدارسين والمهتمين بأمر الشعر والشعراء، فيعمدون الى شعره، يعيدون النظر فيه، ويدرسونه ويحكمون عليه حكما نقديا يظهر، في كثير من دراساتهم النقدية، مواطن الابداع فيه.

والشيخ جعفر الهلالي من الشعراء الذين ملأوا جانبا كبيرا من الحياة الأدبية في النجف

الأشرف، فقد شارك في ((الندوات الأدبية التي كانت تعقد في النجف في كلّ خميس وجمعة في بيوت العلماء والأدباء، وكذلك في المناسبات العامة كمناسبات الزواج والأعياد والتهاني وفي الوفيات، وما يقام في المجالس الأدبية من المطارحات الشعرية والتثقيفية، وينتمي الى الندوة الدبية التي كان يترأسها (الشيخ باقر الهجري) من اعضاء (جمعية الرابطة الأدبية) في النجف، وكانت تربطه به روابط ودّيّة، ومن نشاطات هذه الندوة المطارحات الشعرية بين أعضائها وبين أدباء (سوق الشيوخ)، فكان هؤلاء يرسلون قصائدهم الى النجف، ويتولّى الردّ عليها شعرا الهجري وأعضاء ندوته، وتتناول هذه الأشعار مواضيع من الحكمة والمعرفة المفيدة، وكان لهذا الأثر الواضح في تنمية شاعرية الهلالي))[١٧]، الذي توجهت إليه أنظار المهتمين بالشعر والشعراء الساعين الى تسجيل الجوانب المتعددة من الحياة الأدبية في النجف الأشرف والحريصون على تعليل ظواهر الأدب الفنية.

فهو، كما وصف، أديب ذو ثقافة واسعة، وكاتب متتبع، وشاعر فاضل[١٨]، وهو، مضافا الى ذلك، ((شاعر مكثر يتدفق الشعر على لسانه عذبا سلسبيلا، وتنتظم القوافي في خاطره عسجدا مطولا))[١٩]، شهدت بذلك قصائده التي ألقاها في المناسبات، التي كانت تعقد في (دورة الصحن الشريف)، وهذا ما أشار إليه السيد داخل السيد حسن مخاطبا الشيخ الفقيد جعفر الهلالي بقوله:

قد كنت في النجف الأغرّ محلّقا ... ولك (القصائد) تستعاد وتنشر

وبـ (دورة الصحن) الشريف مجالس ... من حولك الجمع الغفير تجمهروا

و (المسجد الهنديّ) يشهد حفلة ... بملاحم الشعر البليغ تسطّر[٢٠]

وهذا ما لاحظته في الشعر الذي جادت به قريحته، إذ إنني ما دخلت عليه زائرا في داره الواقعة بالقرب من مرقد الصحابي الجليل كميل بن زياد النخعي (رضوان الله تعالى عليه) في (حيّ الحنّانة) إلّا وجدته جالسا وبيده قلمه ينظم الشعر في مواضيع مختلفة.

بيد أن الغالب، على شعره، مدح أهل البيت عليهم السلام ومواليدهم ورثاؤهم، وهذا يمكن أن يفسر بالرسالة التي يحملها الشيخ الهلالي، ويعمل جاهدا من أجل إيصالها الى أبناء المجتمع الاسلامي، وهي رسالة تتضمن الوعظ والارشاد والدعوة الى الالتزام بالقيم السامية

ومبادئ الدين الحنيف، فضلا عن التعبير عن هموم الانسان، وهذا ما نراه مجسدا في أهل البيت عليهم السلام، إذ إنّ مدحهم هو مدح لهذه القيم والمبادئ والأخلاق السامية، ودعوة للالتزام بها، وبيان لضرورتها في بناء المجتمع السامي الموحّد، محذرا من الإنصياع والإنخداع بالفكر الغربي الهدّام، منبها الى دسائسهم ومؤامراتهم، وهذا ما نلحظه بوضوح في قصيدته الهمزية التي نظمها بمناسبة مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والتي تعكس النهج الذي إتّبعه في معالجة قضايا الأمة الإسلامية، إذ يتخذ من المناسبة منطلقا الى الحديث عنها، والدعوة الى العمل الجاد من أجل إحياء مجد الأمة، وإعادة مكانتها، مطلعها:

غمـــــر الأرض والســـــما بالضـــــياء قـــبس شـــعّ مـــن أبي الزهـــراء[٢١]

وفيها يقول مشيرا الى ما أنجزه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله من بناء الأمّة بناء سليما موحّدا، داعيا الى الحفاظ على هذا البناء بالوحدة ونبذ الفرقة:

يـا رســول الســماء يـا منقــذ النـاس بقرآنــه مـن الأهـــواء

جئـــت بالحـــقّ نيّـــرا فتهـــاوى باطـــل المشـــركين والســـفهاء

وصـهرت النفـوس في وحـدة المبـدأ دينـا سمـا بهـا لارتقـــاء[٢٢]

فإذا الكـلّ أخـوة جمع الإســلام أشـتاتها بـلا اسـتثناء[٢٣]

هـــو ذا الإســـلام لا مـــا ســـواه مـــن دعـــاوي الخـــلاف للأجـــراء

وحّـدوا الصـفّ يا رجال فما الفرقـة إلّا وسـيلة للفنـــاء[٢٤]

لكنّه سرعان ما يبثّ شكواه للرسول الكريم صلى الله عليه وآله لما آل إليه أمر هذا البناء، بسبب تعاون الشرق والغرب على تقويضه، قائلا:

سـيّد الأنبيـاء يـا صانـع المجـد أغـث وضـع أمّـة عـزلاء

أيّ شـكوى نبثّهـا لـك هـذا اليـوم فالوضـع منـذر بالفنـاء

إنّ مجـدا بنتـه في عهـدك الميمـون نصـرا جماجـم الشـهداء

قد غزته منّـا يد الهـدم حتى طمعت فـي الحمـى يـد الغربـاء

فإذا الشرق وهو ينفث فينا فكرا من مبادئ نكراء

هو والغرب قد تعاون في تقويض ما شدت من عظيم البناء[٢٥]

ويعبّر، بعد ذلك، عن حسرته وألمه لانطفاء وهج العزّة، بعد أن أصبحت هذه الملايين موتى (موتى إلّا من الإدعاء) مستثمرا دلالة الإستفهام المجازي، الذي ينمّ عن الإستغراب والتعجب:

والغريب الذي نراه بأنّا لم نزل ركّعا ببابٍ اعتداء

أفحقا كما نظنّ بأنّ النصر نرجوه من ذئتاب الفلاء

يا ضياع الأمجاد كيف غدونا تبعا بعد عزّة قعساء

كيف أضحت هذي الملايين يا للعار موتى إلّا من الإدّعاء

مات منها الشعور وانطفأ المصباح فالمسلمون في ظلماء

وإذا الدار لليهود وربّ الدار ينأى عنها الى الصحراء

وإذا الأمر لاجئ يتشكّى وضعه نحو لاجئ بالعراء[٢٦]

وهو يستثمر هذه المناسبات في الحديث على قضايا الأمة العربية والاسلامية، وفي مقدّمتها قضية فلسطين، وهو حديث ممزوج بالمرارة والأسى موظفا، في ذلك، دلالة (كم الخبرية):

يا فلسطين والأسى يملأ النفس فماذا أقول في إنشائي

كم ملأنا الدنيا صراخا وندبا لك في الصبح سيرنا والمساء

كم تغنّت بك القوافي مرارا وتبارت حناجر الشعراء

كم حشدنا لك القول وسخرنا من أعاديك بالكلام الهراء

كم فرضنا من الضرائب ما نثقل فيه كواهل الضعفاء

كلّ هذا لنستعيدك دارا هي حقّ لنا بغير امتراء

وإذا الجهـــد نكســـة صبغـــت بالعـــار تاريـــخ عـــزّة وإبـــاء
ورجعنـــا صـــفر الأكـــفّ مـــن النصـــر وجدنـــا لغاصـــب بالعطـــاء
وغـدا الوضـع - عكـس مـا أمّـل الأحـرار- سـلما مـع العـدو المـراء
وجلوســـا مـع الصهاينـــة الأشـــرار في مجلـس الـــولا والصفـــاء[٢٧]

وبعـد هـذا الألم والحسـرة اللـتين غمرتـا نفسـه يضـع أمـام الأمّـة معـالم طريـق العـزّة والكرامة كاشفا حقيقة العدو:

لا صفـــاء مـــع العـــدو وهـــل يأمـــن فـــرد لحيّـــة رقطـــاء
إنّ غـــير التحريـــر لا يصـــنع المجـــد لشـــعب مشـــرّد بـــالعراء[٢٨]

وهـذا النهج الـذي اختطّه لنفسه، وأعني به الإنطلاق من المناسبة الى التغنّي بمبادئ الإسلام وقيمه السامية والدعوة الى اتخاذها أساسا لبناء المجتمع الإسلامي القوي، والتحذير من دسائس الأعداء ومخطّطاتهم للنيل من هذه الأمّة، فضلا عن التعبير عن هموم الإنسان وتطلعاته، وهذا النهج نلحظه في قصائده التي نظمها في مواليد أهل البيت عليهم السلام ورثائهم، وفي المناسبات الدينية المختلفة كعيد الغدير وأمثاله.

كما هو الحال في همزيته التي نظمها بمناسبة مولد الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، والتي مطلعها:

قبـــس شـــعّ دافـــق الـــلألاء فاكتســـى الأرض والســـما بالضـــياء[٢٩]

فهو بعد أن يصوغ صوره المستوحاة من أجواء الذكرى، ليجسّد، أمام المتلقي عظمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ويبيّن خيبة أمل من أرادوا إسدال الستار على على شخصيته، ومحو ذكره، ويلفت إنتباه المسلمين الى أنّ الدين هو ثورة على كلّ مظاهر الظلم والذلّ، وجهاد ضدّ كلّ ظالم متجبّر:

إنّمـــا الديـــن ثـــورة وجهـــاد هكـــذا قـــال والـــد الشـــهداء[٣٠]

وكـذا الحـال في قصـيدته الـتي نظمهـا بمناسـبة مولـد الإمـام الحسـن السـبط عليه السلام، الـتي مطلعها:

زهـــت بمولـــدك الأعصـــار والحقـــب فحـقّ لـــو قبسـت مـن نـورك الشـهب[٣١]

إذ نجد الشاعر يستثمر المناسبة ليخاطب الشباب بوصفهم عماد الأمّة، وذراعها القويّة للإصلاح والقضاء على كلّ فساد، مبيّنا لهم ما يراد منهم، في مرحلة ساد فيها الفساد ، وغاب فيها الوعيّ والشعور بالمسؤولية، (وكلّ ما عندنا صرنا به تبعا):

ويـا شـباب الحـيّ يـا مـن نريـدهم لكـلّ أمـر إذا مـا استفحلـت خطـب

هـذي الشـريعة وافتكـم بثورتهـا علـى الفسـاد لتسـمو عنـدكم رتـب

تبغـي لكـم أنفسـا تسـمو بغايتهـا للخالـدات فـذاك المنهـل العـذب

نريـد مـنكم رجـالا تصـطلي ضـرما أعـزةً حيـث يأتـي نحوهـا الطلـب

نريـد مـنكم جنـودا في بنادقهـا تطهّـر الأرض مـن رجس الأولى غصبوا

نريـد مـنكم شـعورا لا يبارحكـم بـأنّ همّتكـم تعنـو لهـا الشـهب[٣٢]

وفي قصيدته الحائية، التي نظمها بمناسبة وفاة الرسول الكريم ﷺ، والتي مطلعها:

قـد سـما فيـك للقريـض افتتـاح أفيرقـى الـى عـلاك امتـداح[٣٣]

يخاطب الحاضرين، الذين حداهم الى هذا الإجتماع حبّ الرسول ﷺ، داعيا إيّاهم الى توحيد الصفّ، وأن يترجموا أقوالهم أفعالا:

يـا جموعـا بذكـر قائدهـا اليـوم تلاقـت مـن عندهـا الأرواح

ضمّهـا محفـل حداهـا لـه الحـبّ فعـمّ الصفـا وعـمّ السماح

وحّـدوا الصـفّ قـد كفانـا لتمزيـق عرانـا في الـدهر هـذا النطـاح[٣٤]

مذكّرا، بعد ذلك، بما آل إليه حال هذه الأمّة، وما خسرته بسبب هذا الخلاف، مذكّرا إيّاهم بأنّ الحقوق لا تعاد إلّا بالقوّة:

لا تعـاد الحقـوق بالكلـم الفـارغ إن لـم يكـن هنـاك صـفاح

فاسـتعدّوا لهـا بـدرع مـن الإيمـان فهـو المجـنّ وهـو السـلاح[٣٥]

فالشاعر الشيخ الهلالي يتخذ من المناسبة أساسا ينطلق منه الى غاية الرسالة التي حملها، وعمل جاهدا من أجل إيصالها الى الجماهير، سواء أكانت من على منبر أبي

الأحرار الحسين عليه السلام أم من على منابر الإحتفالات الدينية والوطنية، التي كانت تعقد في العراق في هذه المحافظة أو تلك، أو في غيره من بلدان العالم.

وما ذكرته، في هذه الصفحات، إنّما هي شواهد، من قصائده، تعكس الطريق الذي سار عليه في معالجة القضايا الدينية والوطنية والإنسانية، ويستطيع قارئ قصائد الديوان أن يدرك هذه الظاهرة فيه عندما يطلّع على كثير من قصائد الديوان.

هوامش البحث

(١) ظ: معجم الخطباء: ١٨٧/٢-١٨٨، الملحمة العلوية (مقدمة المحقّق): ١٣

(٢) حديث خاص مع العلامة المغفور له الشيخ جعفر الهلالي.

(٣) نقلت من دفتر موجود في المكتبة الخاصة بالشيخ جعفر الهلالي.

(٤) ظ: الملحمة العلوية (مقدمة المحقّق): ١٢، معجم شعراء الشيعة: ٧٤/٦، معجم شعراء الحسين عليه السلام (التقديم): ٤٥/١

(٥) حديث خاص مع العلامة المغفور له الشيخ جعفر الهلالي.

(٦) ديوان الشيخ جعفر الهلالي (معدّ للطبع).

(٧) ظ: ذكرى الإمام عليّ عليه السلام: ٣٨- ٤٢

(٨) ظ: مستدرك شعراء الغريّ: ٩١/١

(٩) حديث خاص مع العلامة المغفور له الشيخ جعفر الهلالي.

(١٠) ديوان الشيخ جعفر الهلالي (معدّ للطبع).

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) المصدر نفسه.

(١٥) المصدر نفسه.

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) الملحمة العلوية: ١٨

(١٨) ظ: معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف خلال ألفي عام: ١٣٣٣/٣

(١٩) معجم الخطباء: ١٩١/٢

(٢٠) نقلت الأبيات من دفتر خطّ بخطّ اليد في مكتبة الشيخ جعفر الهلالي.

(٢١) ديوان الشيخ جعفر الهلالي(معدّ للطبع).

(٢٢) يشير الشاعر في هذا البيت والبيت الذي يليه الى قوله تعالى: ((إنّما المؤمنون إخوة)) (الحجرات/١٠).

(٢٣) يشير الشاعر في هذا البيت الى قوله تعالى السابق أيضا

(٢٤) يشير الشاعر في هذا البيت الى قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال/٤٦)..

(٢٥) ديوان الشيخ جعفر الهلالي (معدّ للطبع).

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) المصدر نفسه.

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) المصدر نفسه.

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) المصدر نفسه.

(٣٣) المصدر نفسه.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) المصدر نفسه.

قائمة المصادر

- القرآن الكريم.
- ديوان الشيخ جعفر الهلالي – تحقيق وجمع د. خليل عبدالسادة إبراهيم الهلال (معدّ للطبع).
- ذكرى استشهاد الإمام عليّ عليه السلام في جامع الشيخ السهلاني ١٣٨١هـ/١٩٩٨م – تصدير لجنة الإحتفال – ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- مستدرك شعراء الغري – الشيخ كاظم طاهر الفتلاوي – دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع – النجف الأشرف – ٢٠٠٢م.
- معجم الخطباء – داخل السيد حسن المؤسسة العالمية للطباعة والإعلام – لبنان – بيروت ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف خلال ألفي عام- الشيخ محمد هادي الأميني _ مطبعة الآداب – النجف الأشرف – ١٩٦٤م م.
- معجم شعراء الحسين عليه السلام – تأليف وتحقيق العلامة الشيخ جعفر الهلالي – مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر- بيروت – لبنان – ط١ – ١٤٢١هـ.
- معجم شعراء الشيعة – موسوعة تاريخية أدبية منذ صدر الإسلام حتى سنة ١٤١٩هـ – عبدالرحيم الشيخ محمد الغرّاوي – مؤسسة الكاتب – بيروت – لبنان.
- الملحمة العلوية – الشيخ جعفر الهلالي – تحقيق د. محمد سعيد الطريحي – ١٩٨٧م.